



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الوالدين

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70، 71]... أما بعدُ ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ثُمَّ أَمَا بَعْدُ :

فاتقوا الله - تعالى - وأطيعوه، واعرفوا ما عليكم من الحقوق لأدائها؛ فإن الله - تعالى - حقوقاً مَحْضَةً كالعبادات، وحقوقاً مُتَعَلِّقَةً بالدينا وقرابتنا وحيراننا، وعموم من نتعامل معه من الناس، أَوْجَبَهَا عَلَيْنَا، فَكَانَتْ مِنْ دِينِهِ الَّذِي شَرَعَهُ لَنَا، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحَاسِبُنَا عَلَيْهَا؛ يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: 20].

أيها الناس، لا حَقَّ عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْظَمَ وَأَكْبَرَ بَعْدَ حَقِّ اللَّهِ - تعالى - وَحَقِّ رَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ حَقِّقِ الْوَالِدَيْنِ، تَظَاهَرَتْ بِذَلِكَ نِصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَخَذَ اللَّهُ - تعالى - مِيثَاقَ مَنْ كَانُوا قَبْلَنَا عَلَيْهِ؛ وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: 83].

وأوجبه - سبحانه - فِي شَرْعِنَا بِأَقْوَى صِيغَةٍ، وَأَبْلَغِ عِبَارَةٍ، وَقَرَّانَهُ بِتَوْحِيدِهِ وَالنَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ بِهِ؛ وَقَالَ اللَّخُّ جَلًّا وَعِلًّا ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: 36]، وَقَالَ أَيْضًا ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: 23].

فَعَبَّرَ عَنْهُ بِصِيغَةِ الْقَضَاءِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَقْوَى صِيغِ الْأَمْرِ وَالْإِلْزَامِ؛ فَإِنَّ قَضَاءَ الْقَاضِي نَافِذٌ، وَاللَّهُ - تعالى - أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ

وأعدلهم وأقواهم، بل جعل برَّ الوالدين من وصاياه التي وصَّى بها عباده؛ حيث قال: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الأنعام: 151]، ثم ختمها - سبحانه - بقوله: ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: 151].

والأمُّ مقدّمة على الأب في البرِّ، ولها من الحقوق على الابن أكثر من حقوق أبيه عليه؛ لأن الشَّرْعَ المطهَّرَ جاء بذلك، ولأها أضعفُ الوالدين، ولأها الحامل والوالدة والمرضع؛ ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ [لقمان: 14]، وفي آية أخرى: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف: 15].

وفي المَحْرَمِيَّةِ قُدِّمَتِ الأمُّ على سائر مَحَارِمِ الرجل؛ كما قال الله جلا وعلا ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبنَاتُ الْأَخِ وَبنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: 23].

ولا أحد من الناس أشدَّ رحمة، ولا أكثر خوفًا من الأمِّ على ولديها، وفي قصة إسماعيل وأمه - عليهما السلام - تظهر رحمة الأمِّ وشفقتها حين نَفِدَ ماؤها، وَحَفَّ لبُّها، وَخَشِيَتْ على رضيعها، ولم تُطِقِ النظرَ إليه وهو يتألَّم من الجوع، فهامت في جبال مكة تبحث عن الماء، وكانت في كلِّ صعود وهبوط على الصفا والمروة تعود لرضيعها؛ لتطمئنَّ عليه. قال ابن عباس يحكي قصتها: "فجعلت تشرب من الشَّيْءِ، ويدِرُّ لبُّها على صبيها؛ حتى لَمَّا فَنِيَ الماء، قالت: لو ذهبت فنظرت لعلِّي أحسُّ أحدًا، فذهبت فصعدت الصفا، فنظرت ونظرت، هل تحسُّ أحدًا؟ فلم تحسُّ أحدًا، فلَمَّا بلغت الوادي، سعت فذهبت فنظرت، فإذا هو على حاله وأنت المروة، ففعلت ذلك أشواطًا ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل - تعني: الصبيِّ كأنه ينشعُ للموت، فلم تُقرِّها نفسها، فقالت: لو ذهبت فنظرت لعلِّي أحسُّ أحدًا، فذهبت فصعدت الصفا، فنظرت ونظرت، فلم تحسُّ أحدًا حتى أتممت سبعا، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((فذلك سعي الناس بينهما))؛ رواه البخاري.

وتظهر رحمة الأمِّ وشفقتها في قصة أمِّ موسى - عليه السلام - مع ابنتها - حين وضعته في التابوت وألقته في اليمِّ، إذ أمرت أخته بتتبُّع خبره والسؤال عنه؛ ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ [القصص: 11].

وقد أحرَبَ اللهُ - تعالى - عن حُزْنِ الأمِّ بفقد ولدها، فقال - سبحانه -: ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ [القصص: 13].

وذكر اللهُ - تعالى - موسى - عليه السلام - بهذه النعمة العظيمة حين جَمَعَ شمله بأمه وهو رضيع؛ فقال اللهُ عزَّ وجلَّ ﴿ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ [طه: 40].

فهذا هو قلب الأمِّ، فويل ثم ويل لمن فرَّق بين أمِّ وولدها بسبب خلاف بين الزوجين، وكثير من الأزواج يفعلون ذلك، ويفعله آباء الأزواج وآباء الزوجات وقربائهم؛ بدعوى حفظ كرامة متوهمة، أو للحصول على مال، أو المطالبة بإسقاط نفقة الأولاد ما داموا عند أمهم، أو نحو ذلك، فتكون الأمُّ وأطفالها ضحايا هذه التصرفات الرعناء، وتُحرَمُ الأمُّ منهم ويُحرَمون منها، ولا سيَّما الأطفال والرضع، ويلتأعُّ قلبها عليهم، فلا تمأ بنوم، ولا تتلذذ بطعام.

فاتقوا الله - تعالى - وأطيعوه؛ يقول الله جلا وعلا ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿[آل عمران: 131 - 132].

أيها الناس، من أراد عظيم الأجر والثواب، فليعلم أن الأمّ بابٌ من أبواب الجنة عريضٌ، لا يفرط فيه إلا من حرم نفسه، وبخس من الخير حظّه، وقد تردّد معاوية بن جَاهِمَةَ السَّلْمِيّ - رضي الله عنه - على النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثلاث مرّات يسأله الجهاد، وفي كل مرة يقول له: ((وَيْحَكَ! أحيّة أمك؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: وَيْحَكَ الزم رجلها؛ فشمّ الجنة))؛ رواه ابن ماجه، وفي رواية لأحمد قال: ((الزمها؛ فإن الجنة عند رجلها))، وأخذ منه بعض الصالحين تقبيل رجل الأم، فكان يقبل قدم أمه كل يوم، فأبطأ على إخوانه يوماً، فسأله فقال: "كنت أتمرغ في رياض الجنة، فقد بلغنا أن الجنة تحت أقدام الأمّهات".

ولمّا ماتت أم القاضي إياس، بكى فقيل: "ما يُبيك يا أبا وائلة؟ قال: كان لي بابان مفتوحان من الجنة، فأغلق أحدهما. وروي عن أنس - رضي الله عنه - قال: "أتى رجل النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: "إني أشتهي الجهاد، وإني لا أقدر عليه، قال: ((هل بقي أحد من والديك؟)) قال: أمي، قال: ((في الطبراني: فأبل الله عذراً في برّها؛ فإنك إذا فعلت ذلك، فأنت حاجٌّ ومُعتمر ومُجاهد، إذا رضيت عنك أمك، فأتق الله في برّها))؛ رواه الطبراني، وحسنه العراقي. وكان مذهب ابن عباس - رضي الله عنهما - أن برّ الأم أفضل الأعمال، وقال: "إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله - عز وجل - من برّ الوالدة"، وهو مذهب جماعة من السلف.

وقال ابن عمر - رضي الله عنهما - لرجلٍ عنده أمه: "والله لو ألفت لها الكلام، وأطعمتها الطعام، لتدخُلن الجنة ما اجتنبت الكبائر".

وقال محمد بن المنكدر - رحمه الله تعالى -: "بات أخي عمر يصلي، وبت أعمر رجل أمي، وما أحب أن ليلتي بليتته". وقال هشام بن حسان: "قلتُ للحسن: إني أتعلّم القرآن، وإن أمي تنتظرني بالعشاء، قال الحسن: تعشّ العشاء مع أمك تقرّ به عينها، أحبُّ إليّ من حجة تحجّها تطوّعاً".

وقال بشر بن الحارث - رحمه الله تعالى: "الولد بالقرب من أمه حيث تسمع أفضل من الذي يضرب بسيفه في سبيل الله - عز وجل - والنظر إليها أفضل من كل شيء".

فأين الناس في برّ أمّهاتهم والعناية بهنّ، والقيام على خدمتهنّ من هذه الأحاديث والآثار العظيمة في حقّ الأمّ وفضيلة برّها؟! إن بينهم وبينها لبوناً شاسعاً، ومفازاً عظيماً، يستقلون خدمة أمّهاتهم، والقيام عليهنّ، وتلبية رغباتهنّ، والأنس بهنّ، والجلوس معهنّ، ويملن حديثهنّ، ويقدمون ترفيه أزواجهن وأولادهم على برّ أمّهاتهم إلا من رجم الله - تعالى - وقليل ما هم، ترى الواحد منهم يأنس بصحبه ويضاحكهم، ويُطيل المكث معهم، وإذا كان في مجلس أمّه كثيرٌ وتقبّض، وتقلّ كلامه، واشتغل في مجلسها بغير حديثها، كهاتف أو صحيفة أو غير ذلك، وهذا مما يحزنها ويكسر قلبها ألا يأبه ولدها بها، ولا ينصت لحديثها، ولا يوقّر مجلسها.

ومن فتش في حاله مع أمّه، وجد كثيراً من العقوق لا يفتن إليه، وتصرفات لا يلقي لها بالاً، وهي من العقوق، فحذار حذار - عباد الله - فإنّ حقوق أمهاتنا علينا كثيرة، وإن برهنّ من أعظم الواجبات، والنصوص فيه كثيرة، يكفي منها وصية الله -

تعالى - للمسيح - عليه السلام - التي نطق بها وهو في المهدي؛ ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبِرًّا بَوَالِدَيْي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [مریم: 31 - 32].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذکر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية: الحمد لله على فضله وإحسانه، وأشكره على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلم تسليماً كثيراً.

هذا وأعلموا أيها المسلمون: أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالصلاة والسلام على نبينا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، في كتابه فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب آية 56]... اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم صلاة وسلاماً دائماً متلازمين إلى يوم الدين.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل آية 90]، ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [سورة العنكبوت آية 45].